الفصل الثاني

المفاهيم الغوية والشرعية

وفيه مقدمة الفصل وثلاثة مباحث:

المبحث الأول:تعريف كلمة إبليس ونظائرها

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف كلمة إبليس لغة وشرعا.

المطلب الثاني: تعريف نظائر كلمة إبليس وفيه تمهيد وثلاثة أفرع.

الفرع الأول:تعريف الشيطان.

الفرع الثاني:ربط التعريف بين إبليس والشيطان في الاصطلاح.

الفرع الثالث: تعريف كلمة الطاغوت.

المبحث الثاني:كلمة إبليس ونظائرها في السياق القرآني

وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

المطلب الأول: كلمة إبليس في السياق القرآني.

المطلب الثاني:كلمة الشيطان في السياق القرآني.

المطلب الثالث: كلمة الطاغوت في السياق القرآني.

المطلب الرابع:لطائف مستنبطة مما سبق.

المبحث الثالث: الجنس الذي منه إبليس.

obeikan.com

مقدمة الفصل

العلم بحقائق الأشياء والوعي بمعانيها يعد مدخلا أساسيا لتصورها، وقد عني العلماء المسلمون بالألفاظ الشرعية والمصطلحات اللغوية وحرصوا على تحديدها، حيث إن مصدر العلم بمعنى قول الشارع يرجع إلى أمرين: اللغة التي تكلم بها، ومقصود الشارع من الألفاظ، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني، فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب، فإنهم يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه ولا يكون الأمر كذلك.

المبحث الأول

تعريف كلمة إبليس ونظائرها

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

تمهيد:

يقول علماء المنطق:الحكم على الشيء فرع من تصوره.

وبناءً عليه ومن هذا المنطلق لابد من تحديد الألفاظ ومضمونها من الناحية اللغوية والناحية الشرعية حتى نكون على بينة من أمرنا ونعرف مدلولات الألفاظ ومضامينها.

المطلب الأول

تعريف كلمة إبليس لغة وشرعا

أولاً: تعريفها في لغة:

من أبلس الرجل قُطِع به ، وأبلس سكت، وأبلس من رحمة الله يئس وندم ومنه سُمِّي إبليس لأنه أبلس من رحمة الله وقيل: إبليس لا ينصرف لأنه أعجمي معرفة، والمبلس الساكت من الحزن أو الخوف ،والإبلاس الحَيْرة[23].

ذكر بعض العلماء أن إبليس اسم عربي، على وزن إفعيل، مشتق من الإبلاس، وهو الإبعاد من الخير، أو اليأس من رحمة الله ([24]) .

---

[23])ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت (1994)، (ج6/ص29,30)

[24]) ابن منظور، لسان العرب (ج29/1)مرجع سابق،الألوسي، (شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: **1270**هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الطبعة

وقال الأكثرون: إن إبليس اسم أعجمي ممنوع من الصرف للعلمية والعجمية، وقد ذكر ابن الأنباري أن إبليس لو كان اسماً عربياً لم يصرف كإكليل وإحليل ([25]) ، قال أبو إسحاق: أن إبليس أعجمي معرفة، وذكر الزبيدي أن إبليس لا يصح أن يشتق وإن وافق معنى إبليس لفظاً ومعنى، وقد غلط العلماء الذين قالوا باشتقاقه. وذكر الطبري بأنه:(م يصرف استثقالاً، إذ كان اسماً لا نظير له من أسماء العرب، فشبهته العرب إذ كان كذلك بأسماء العجم التي لا تجري كما في إسحاق حيث لم يجروه، وهو مشتق من أسحقه الله إسحاقاً، إذ وقع ابتداء اسماً لغير العرب التي تسمت به العرب، فجري مجراه، وهو من أسماء العجم في الإعراب فلم يصرف، وكذلك أيوب إنما هو من آب يئوب)([26]).

قال ابن حجر: (وقد تعقب بأنه لو كان اسماً عربياً مشتقاً من الإبلاس لكان قد سمي به بعد يأسه من رحمة الله بطرده ولعنه) ([27]) ، وظاهر القرآن أنه كان يسمى بذلك قبل ذلك، وكذا قيل، ولا دلالة فيه، لجواز أن يسمى بذلك باعتبار ما سيقع له، نعم روى الطبري عن ابن عباس قال: (كان اسم إبليس حيث كان مع الملائكة عزازيل ثم إبليس بعد ([28]) ، وهذا يؤيد القول. والله أعلم) ([29]) .

ثانيا:في مفهوم الشرع:

لم ألجأ في بحثي هذا إلى التسمية والعَنْوَنة بالمعنى الاصطلاحي، فالاصطلاح كلمة تدل على خصوصية ارتضاها أهل فن من الفنون أو علم من العلوم لكلمة ذات معنى عام، أما هنا فكلمات (إبليس، شيطان، طاغوت) إنما هي في معناها لا تحمل اصطلاحاً عند قوم دون قوم بل هي باقية على معناها اللغوي، مع بعض القيود البسيطة أو الاحترازات الطفيفة التي أضافها الشرع إلى بعضها.

الأولى،بيروت . لبنان، الناشر: دار الكتب العلمية،سنة الطباعة: **1415** هـ روح المعاني(ج210/1)

[25])ابن حجر، (أحمد بن علي أبو الفضل)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت (1379هـ)فتح الباري(ج339/6)وروح المعاني(ج29/1)مرجع سابق.

[26]) الزبيدي، المرتضى محمد بن أحمد (ت: 1205) تاج العروس في جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، بيروت، (1390هـ). بتصرف(ج111/4)

[27]) تفسير الطبري (ج227/1، 228)مرجع سابق.

[28]) فتح الباري(ج339/6)مرجع سابق.

[29]) تفسير الطبري(ج224/1)مرجع سابق.

لا يُوجد تعريف اصطلاحي لإبليس في الشرع، إذ هو مخلوق معروف لدى الأديان الأخرى، وهو رمز الشرّ عند كل شعب من الشعوب ودين من الأديان وطائفة من الطوائف، أما إذا أردنا أن نعرّف إبليس في هذا البحث، فسيكون تعريفه تعريفاً وصفياً على ضوء المفهوم الشرعي، وعليه نعرّف إبليس بأنه:الجانّ الذي أبى السجود لآدم حين خلقه الله، فاستحق لعنته، وطُرِد من جنته، ووجبت له النار بعد إنظار الله له إلى يوم القيامة، وأُوتِي من وسائل الإغواء ما لم يُؤتَ أحد من العالمين.

ويمكن تعريفه على أنه:اسم علم على عدو الله تعالى الذي خلقه من نار وأمره بالسجود لآدم عليه السلام إكراماً له وتشريفاً فأبى إبليس أن يسجد لآدم واستكبر فلعنه الله وطرده وأنظر إلى يوم الوقت المعلوم .

المطلب الثاني

تعريف نظائر كلمة إبليس

وفيه تمهيد وثلاثة أفرع

تمهيد:

الأمر لا يتوقف على تعريف إبليس فقط لنطلقه على الجانّ الذي أبى السجود لآدم حين خلقه الله، فاستحق لعنته، وطُرِد من جنته، ووجبت له النار بعد إنظار الله له إلى يوم القيامة، وأُوتِي من وسائل الإغواء ما لم يُؤتَ أحد من العالمين.

وإنما هناك أسماء تطلق على نفس الذات،بمعنى أن هناك مترادفات ونظائر وسوف نتناولها في النقاط التالية:

الفرع الأول

تعريف الشيطان

أولا:تعريف كلمة الشيطان في اللغة:

ذكر جماعة من أهل اللغة أن الشيطان نونه أصلية على وزن فيعال مشتق من شطن: أي بعد، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر، وبعيد بفسقه عن كل خير، وشيطن وتشيطن، صار كالشيطان وفعل فعله، قال أمية بن أبي الصلت يصف سليمان بن داود عليهما السلام:

أيما شاطن عصاه عكاه..... ثم يلقى في السجن والأغلال

فقال: أيما شاطن، ولم يقل: أيما شائط.

وذكر جماعة أن الشيطان نونه زائدة على وزن فعلان فهو من شاط يشيط: إذا احترق غضباً، و على هذا الأساس يكون ممنوعاً من الصرف ([30]).

وبذلك اختلف أهل اللغة في الأصل الذي يرجع إليه اشتقاق هذه الكلمة على قولين:

الأول: أنها ترجع في اشتقاقها إلى الجذر (شَطَنَ).

الثاني: أنها ترجع إلى الجذر (شَيَطَ).

وسنعرض إلى معاني هذين الجذرين عند أهل اللغة، وذلك فيما يلي:

1- **الجذر الأول**: (**شَطَنَ**): الشَطَن الحبل الطويل الشديد الفتل يستقى به، وشطَنت الدار إذا بعدت،وغزوة شطون أي بعيدة، والشَطْن مصدر شَطَنه يشطُنه إذا خالفه عن نيته ووجهه، وبئر شَطون إذا استقي ماؤها بحبلين لعوج فيها، وحرب شَطون عسرة شديدة، ورمح شَطون طويل أعوج، وأشطن أبعد، والشيطان كل عاتٍ متمرد من الإنس والجن والدواب، والعرب تسمي الحية شيطاناً وقيل الحية ذو العرف القبيح، ورُؤُوس الشياطين من النبت هو الشَّفلَّح ينبت على سوق،وتشيطن الرجل فهو شيطان وشاطن [(31)].

2- **الجذر الثاني**: (**شَيَطَ**) : شاط الشيء شيْطاً وشياطة وشيطوطة، احترق، وشاطت القدر شيطاً احترقت ، وقيل احترقت ولصق بها الشيء، وتَشَيَّط الدم إذا علا بصاحبه، وشاط دمه وبدمه وأشاط دمه وبدمه عرَّضه للهلكة، واشتاط غضبا التهب في غضبه، وشاط الرجل هلك، والإشاطة الإهلاك وفي حديث زيد بن حارثة أنه قاتل براية

---

[30])لسان العرب(ج237/13)والقاموس المحيط(ص871)مراجع سابقة.

[31]) انظر المعاجم التالية:

* معجم العين – للخليل بن أحمد الفراهيدي – ص 479 .
* مجمل اللغة – لابن فارس – ج 2 – ص 502 .
* المحيط في اللغة – للصاحب بن عباد – ج 7 – ص 304 .
* لسان العرب – لابن منظور – ج 13 – ص 237 .
* مختار الصحاح – للفخر الرازي – ص 338 .
* المفردات في غريب القرآن – للراغب الأصبهاني – ص 261 .
* المصباح المنير – للفيومي – ص 142 .

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم[32]، أي هلك، وشاطت الجزور إذا لم يبق فيها نصيب إلا قُسِم ، واستشاط الرجل من الأمر إذا خفّ له واحتدّ وتحرّق ، والشيطان فعلان من شاط يشيط إذا هلك واحترق [33] .

ومن هذا العرض نخلص إلى أن (شطن) جذر مضطرد يدل في أصل معناه على البعد ، و(شيط) أصل مضطرد يدل في أصل معناه على الهلاك والبطلان .

والحق أن الخلاف في اشتقاق لفظة الشيطان من أحد الجذرين، إنما هو خلاف قديم وكبير بين أرباب اللغة، كانت نشأته مع نشأة مدرستي البصرة والكوفة في اللغة [34]، فلقد ذهب البصريون إلى ترجيح اشتقاقها من(شطن)، في حين خالفهم الكوفيون مرجحين اشتقاقها من (شيط)، ولقد كان أكثر أهل اللغة، والمفسرون ممن جاء بعد نشأة المدرستين، على رأي أهل البصرة ، فلم يؤيد الرأي الثاني إلا القليل من المفسرين وأهل اللغة .

ومهما يكن مرجع هذه اللفظة، سواء أكانت من (شطن)، بمعنى بَعُدَ عن الحق والخير، أو من (شيط) بمعنى احترق وبطل، فإن كلا المعنيين لصيق بمفهوم هذه اللفظة في اللغة والشرع فهو البعيد دائماً وأبداً عن الحق والخير، وهو الهالك الباطل.

وذكر ابن الأثير أن نون الشيطان إذا جعلت أصلية كان من الشطن وهو: البعد عن الخير، أو الحبل الطويل، كأنه طال في الشر، وإن جعلت زائدة كان من شاط يشيط: إذا

---

[32]) أخرجه الحاكم في المستدرك – ج 3 – ص 237 – ح 4952 ، سكت عنه الذهبي في التلخيص ، وأخرجه الطبراني في الكبير – ج 5 ص 84 – ح 4656 .

[33]) انظر :

* معجم العين – للخليل بن أحمد – ص 503 .
* مجمل اللغة – لابن فارس – ج 2 – ص 518 .
* المفردات – للراغب الأصبهاني – ص 261 .
* لسان العرب – لابن منظور – ج 7 – ص 337 .
* المصباح المنير – للفيومي – ص 142 .
* المحيط في اللغة – للصاحب بن عباد – ج 7 – ص 358 .

[34]) للألوسي، روح المعاني(ج 1 – ص 157)

هلك، أو من استشاط غضباً، إذا احتد في غضبه والتهب، قال: والأول أصح ([35]) ، وذكر ابن كثير أن من العلماء من صحح المعنيين مع قولهم بأن الأول أصح ([36]) .

والشطن: البعد، ومنه شطنت داره، أي بعدت، ويقال: نوى شطون أي بعيدة، وبئر شطون: أي بعيدة القعر، ويقال للحبل شطن سمي بذلك لطوله، وجمعه أشطان، و في الحديث: كل هوى شاطن في النار ([37]) قال ابن قتيبة: (الشاطن البعيد عن الحق)([38]) .

قال مابن إسحاق:(إنما سمي شيطاناً لأنه شطن عن أمر ربه،والشطون البعيد النازح) ([39]).

وقال أبو عبيد: (الشيطان كل عات متمرد من إنس، أو جن) ([40])، أو دابة قال جرير:

أيام يدعونني الشيطان من غزلي.....وهن يهوينني إذ كنت شيطانا

ويدل على ذلك قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [الأنعام: 112]. وكذا قوله: {وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ} [البقرة: 14]. أي أصحابهم من الجن والإنس، و قوله تعالى: {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ} [الأنعام:121].

وقوله: {وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ} [البقرة: 102]. قيل مردة الجن وقيل مردة الإنس ([41]) .

ثانيا:تعريف كلمة الشيطان في مفهوم الشرع:

لقد وقع تعريف لفظة الشيطان في أكثر كتب اللغة على النحو التالي:

---

[35])ابن الأثير،النهاية في غريب الحديث والأثر(ج1160/2)

[36])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج15/1)مرجع سابق.

[37])ابن منظور،لسان العرب(ج137/13) مرجع سابق.

[38])غريب الحديث(ج759/3)

[39]) أبو حاتم الرازي 322 هـ، المحقق : حسين بن فيض الله الهمداني ود. عبد الله سلوم السامرائي، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية،الناشر:مركز البحوث والدراسات اليمني ط الأولى 1984 م . (ج179/2)

[40])السمرقندي،بحر العلوم(ج277/1).

[41]) الراغب الأصفهاني،(راغب أبو القاسم الحسين بن محمد (ت 502هـ) تحقيق: صفوان عدنان داوودي،، مفردات ألفاظ القرآن، ط 1، دار العلم، دمشق، الدار الشامية . بيروت،1416 هـ . 1996م. (ص:261)

الشيطان: هو كل عاتٍ متمرد من الجن والإنس والدواب.

وهذا تعريف صحيح ينطبق على مفهوم الشيطان في القديم والحديث ، ولكني سأضيف إليه محترَزَين كي ينطبق التعريف تمام التطابق مع مفهوم هذه اللفظة كما وردت في كتاب الله عز وجل ، وأول هذين المحترزَين هو تحديد الجهة التي يكون العتو والتمرد عليها ، فقد يصدق أن تقول : تمرد الرجل على الباطل ، فهل نعدّ هذا الرجل في هذه الحالة شيطاناً ! وأما المحترَز الثاني فهو إلغاء كون الشيطان من الدواب ، وذلك من جهة نظر قرآنية حيث لم ترد هذه اللفظة (شيطان) أبداً في كتاب الله بمعنى الدّواب ، وعليه يكون التعريف الأدق للشيطان هو : كل عاتٍ متمرد على أوامر الله من الجن والإنس .

ثالثا:بين العربية وغيرها من اللغات:

المعلوم لدينا أن لفظة الشيطان تأخذ أشكالاً لغوية متقاربة في لسان اللغات المنحدرة من أصول لاتينية ، وإغريقية ، فالإنجليز يطلقون عليه لفظ sa)رضي الله عنه (an، وهي في لفظها شديدة القرب من كلمة الشيطان ، وكذا الفرنسيون ، فهل أخذ العرب هذه اللفظة عن ما سبقهم من اللغات اللاتينية والإغريقية؟

إن كان الأمر كذاك فقد بطل كل ما قاله علماء اللغة من أن أصل اشتقاقها من كلمات عربية المنشأ ، ولكن الأمر يتعلق بأصول اللغات كلها بما فيها العربية – وهذا بحث يطول فيه السجال في غير هذا الموضع – وأرى من المفيد أن نسوق كلاماً طيباً للأستاذ عباس محمود العقاد حيث يقول:" والآكد عندنا أن الكلمة أصيلة في اللغة العربية القديمة فيها، لا يبعد أن تكون أقدم من نظائرها في اللغة البابلية، ففيها مادة (شطّ)، و(شوط)، و(شاط)، و(شطن) وفي هذه المواد معاني البعد والضلال والتلهّب والاحتراق، وهي تستوعب أصول المعاني التي تُفهم من كلمة الشيطان جميعها، فالشطط من الغِلّة والذي يدخل في أخص خصائص الشيطنة، والشطّ بمعنى الجانب المقابل، قد تلحظ فيه مقابلة الخير بالشرّ من جانب الشيطان ، وشاط بمعنى احترق وتلف، وأشاطه بمعنى أهلكه وأتلفه ، وانطلق شوطاً أي ابتعد واندفع في مجراه ... وقد كان العرب يسمون الثعبان الكبير بالشيطان ، وفي بعض التفسيرات أن هذا المعنى هو المقصود من (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) ، وذكر الشراح اليهود المتأخرون أن الشيطان تمثل لآدم في صورة الحية حين أمره بالأكل من الثمرة المحرمة، والعلاقة بين الشيطان والحية لا تقف عند ذلك الحد، وأُخذ من سفر أيوب أن ما يذكره المؤرخون أن الشيطان كان معروفاً بين العرب من ذلك العهد الذي كان فيه خروج بني

إسرائيل من مصر ... ويرى بعض الغربيين أن الكلمة أصلها يوناني من كلمة (diablos) والتي تفيد معنى الاعتراض والدخول بين الشيئين كما تفيد معنى الوقيعة ، وأصلها في اليونانية من dia بمعنى أثناء ، و balinصلى الله عليه وسلم بمعنى يقذف أو يلقي ، ومعنى الكلمتين معاً قريب من معنى الاعتراض والدخول بين الشيئين ، وهو قريب من ثم إلى معنى الوقيعة ، وعندنا أن هذا التركيب أضعف من قول القائلين إن كلمة d)صلى الله عليه وسلم (vil أي الشيطان في اللغة الساكسونية مأخوذة من فعل الشرّ doصلى الله عليه وسلمvil أي do بمعنى يفعل ، وصلى الله عليه وسلم vil بمعنى الشرّ ، وقد أجمع اللغويون والدينيون على نبذ هذه التراكيب مع أنه قرب إلى صفة الشيطان من الصفة التي توحي بها الكلمتان اليونانيتان بعد التمحل والتكلف ... " [42]

الفرع الثاني

ربط التعريف بين إبليس والشيطان في الاصطلاح

تردد لفظ إبليس والشيطان في مواضع متعددة من القرآن الكريم، فقد ورد لفظ إبليس في **أحد عشر موضعاً**، ولم يرد هذا اللفظ إلا مفرداً في هذه المواضع جميعاً.

أما لفظ الشيطان فقد جاء مفرداً ومجموعاً، فقد ورد مفرداً في **سبعين موضعاً**، وأما بلفظ الجمع فقد ورد في **ثمانية عشر موضعاً**، عدا من المواضيع التي ورد فيها لفظ الجن والجِنَّة، التي يراد في كثير منها الشيطان مفرداً ومجموعاً.

وعلى هذا الأساس فما المراد بإبليس والشيطان في هذه المواضع؟

إبليس هو ذلك المخلوق من النار، والذي كان يجالس الملائكة ويتعبد معهم، وليس من جنسهم كما سيأتي، فلما أمر الله ملائكته بالسجود لآدم خالف أمر ربه بتكبره على آدم لادعائه أن النار التي خلق منها خير من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام،فكان جزاء هذه المخالفة أن طرده الله عن باب رحمته، ومحل أنسه، وحضرة قدسه، وسماه إبليس إعلاماً له بأنه قد أبلس من الرحمة، وأنزله من السماء مذموماً مدحوراً إلى الأرض، فسأل الله النظرة إلى يوم البعث، فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه، فلما أمن الهلاك إلى يوم القيامة تمرد وطغى([43])، وقال: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ

---

[42]–العقاد،(عباس محمود العقاد)، إبليس ، القاهرة،سنة النشر:1998م، ص 38 ، 39 .

الْمُخْلَصِينَ}[ص: 82-83]. وكما قال عز وجل عنه:{لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً}[الإسراء: 62].

وهؤلاء هم المستثنون في قوله تعالى:{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفي بِرَبِّكَ وَكِيلاً}[الإسراء: 65].

وإبليس واحد من الجن، وهو أبو الشياطين والمحرك لهم لفتنة الناس وإغوائهم، وقد ذكره الله في قصة امتناعه من السجود لآدم وذلك كقوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إبليس أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 34].

وقد أطلق عليه القرآن اسم الشيطان في مواضع، منها قوله تعالى: {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} [الأعراف: 20]. وقوله: {يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 27]. الآية.

فالشيطان في هذه الآيات مراد به إبليس، لأن القرآن يتحدث عن قصة إغوائه لآدم وحواء عليهما السلام.

والذي يتأمل القرآن يرى أن إطلاق لفظ إبليس لم يرد إلا في معرض الحديث عن إباء إبليس من السجود لآدم، ولم يرد هذا الإطلاق خارج الحديث عن إبائه من السجود إلا في موضعين:

الأول: في سورة الشعراء وهو قوله تعالى: {فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إبليس أَجْمَعُونَ} [الشعراء: 94-95]. وفي هذا الموضع يكون مراداً به جمع إبليس وجنوده من الجن والإنس في نار جهنم، باعتبار الرئيس والأتباع.

الثاني: في سورة سبأ في قوله تعالى: {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إبليس ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} [سبأ: 20]. وهذا هو الموضع الوحيد الذي ورد فيه لفظ إبليس في معرض الحديث عن ممارسة غوايته وإفساده للناس.

---

[43]) محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، الطبعة: السابعة، 1402 هـ - 1981م(ج209/3)

وأما لفظ الشيطان فقد يراد به إبليس خاصة، كما في قصة آدم وإبليس كقوله تعالى: {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا}[البقرة: 36]. وقوله: {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا} [الأعراف: 20].

وقد يراد بالشيطان كل شرير مفسد داع للغي والفساد من الجن والإنس، كما في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [الأنعام: 112].

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الجن والإنس، قال: يا نبي الله، وهل للإنس شياطين؟ قال: نعم: {شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} [الأنعام: 112].)).

وقد يطلق لفظ الشيطان كذلك على المتميز بالخبث والأذى من الحيوان، فعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: (ركب عمر برذوناً، فجعل يتبختر به، فضربه فلم يزدد إلا تبختراً، فنزل عنه وقال: ما حملتموني إلا على شيطان، لقد أنكرت نفسي) ([44]) .

وعلى هذا فإن الشيطان إذا أريد به الجنس فله معنيان: معنى خاص، ومعنى عام.

فأما الخاص فيراد به إبليس وذريته المخلوقون من النار، والذين لهم القدرة على التشكل، وهم يتناكحون، ويتناسلون، ويأكلون، ويشربون، وهم محاسبون على أعمالهم في الآخرة، مطبوعون بفطرتهم على الوسوسة والإغواء، وهم بهذا عاملون على التفريق والخراب، جاهدون لفصل ما أمر الله به أن يوصل، ووصل ما أمر الله به أن يفصل، وإبرام ما يجب فصمه، وفصم ما يجب إبرامه، فهم والملائكة على طرفي نقيض ([45]) .

وأما المعنى العام فيراد به كل مخلوق عات متمرد من الإنس، والجن، والدواب، فأما من جانب الجن والإنس فهو التمرد والعصيان لأمر الله، ومحاولة بذر الفساد في الأرض بشتى صوره وأشكاله قال تعالى: شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ [الأنعام: 112].

وأما من جانب الدواب فهو الخبث والأذى الذي تميزت به عن جنسها.

---

[44]) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر (ت: 310هـ)، تفسير الطبري "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، السعودية (2001م)(ج111/1)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج31/1)وقال إسناده صحيح.

[45])محمد فريد وجدي، المعارف القرن العشرين، الناشر: تصوير دار المعرفة، سنة النشر:1971م. (ج332/2).

الفرع الثالث

تعريف كلمة الطاغوت

أولا:في اللغة:

الجذر (طغَوَ)، وكذلك (طغى) مثله، فنقول: طغوت وطغيت طغياناً وطغواناً، والمعنى: جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر، وأطغاه المال: جعله طاغياً، والطاغية: صيحة العذاب، والبغي، والكفر، والطاغوت: الكهنة والشياطين، وأصل وزنه طَغَيوت على فعلوت ثم قدِّمت الياء قبل الغين محافظة على بقائها فصارت طيَغوت على وزن فلعوت، ثم قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت طاغوت، والطاغوت كل رأس في الضلال، والطاغوت يكون للأصنام، والطاغوت يكون من الجن والإنس، والطاغوت رئيس النصارى، والطاغية الجبار العنيد، والطاغية الأحمق المستكبر الظالم.[46]

ثانيا: في مفهوم الشرع:

تأتي الواو والتاء في ختام لفظة طاغٍ لتزيد المعنى الذي تحمله هذه الكلمة شدة وقوة واستمرارية ، فكيف إذا كان أصل الجذر يدل على مجاوزة الحد ، فإن هذه الكلمة بهذه الصيغة بالذات تثير في الذهن معنى فظيعاً من مجاوزة الحدود وبلوغ القمة في الظلم والجور والعصيان ، والمتتبع لسياق ورود هذه الكلمة في كتاب الله يجد أنها وردت في جميع مواضعها في مجال العبادة والطاعة المطلقة والتحاكم ، وهذه أمور هي من أخص خصائص الله سبحانه ، فكيف إذا صُرفت إلى من يسموَّن بالطواغيت ، بهذا نجد أن الطاغوت يحتل مرتبة هي أعلى من مجرد كونه متمرداً أو عاتياً كما هو حال الشيطان ، بل هو في مرتبة تصل إلى قمة الكفر والطغيان بحيث يجترئ على خصائص ألوهية الله سبحانه حيث يدعو البشر لعبادته من دون الله ، فقد قال مالك بن أنس: " الطاغوت كل ما يعبد من دون الله "[47] ، ولقد جاء في بيان معنى الكفر بالطاغوت في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة، الآية 256.] : " أي من خلع الأنداد والأوثان وما

---

[46]) المرجع السابق - ج -15 – ص 7-9.

[47])السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور،الإمام السيوطي،الناشر محمد أمين دمج، بيروت، لبنان.(ج2،ص 22)

يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله ووحّد الله فعَبَده وحده وشهد أن لا إله إلا هو فقد استمسك بالعروة الوثقى " [48] .

وقد عرّف الإمام الطبري الطاغوت تعريفاً جامعاً حيث يقول: " والصواب من القول عندي في الطاغوت: أنه كل ذي طغيان على الله فعُبِد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده ، وإما بطاعة ممن عبده له، إنساناً كان ذلك المعبود، أو شيطاناً، أو وثناً، أو صنماً، أو كائناً ما كان من شيء " [49] .

وقد عرَّفه ابن القيم رحمه الله بأنه: " ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع" [50]، وهذا تعريف عام يحتاج إلى بعض الدقة كي يكون جامعاً مانعاً وهذا ما اقترب منه الإمام الطبري ، حيث إن تعريفه يعرض عليه إشكال إذ إنه جعل الأصنام والأوثان من الطواغيت مع أنها أحجار لا حول لها ولا قوة ولا ينطبق عليها بأي حال معنى الطغيان ومجاوزة الحد، نعم هي عُبِدت وما زالت تُعبد من دون الله، ولكن هذه العبادة لها لا تجعلها من الطواغيت بل هي باطل بوصفها هذا، وإن شئت فقل هي جبت كما وصفها رب العزة في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾[النساء، الآية 51]، ففي هذه الآية دليل على خصوصية الطاغوت بالجن والإنس دون الوثن ، فلو كان الطاغوت جامعاً للمكلفين وغيرهم من الجمادات لاكتفي رب العزة بذكرها دون الجبت ، ولما كان لذكر الجبت بعد الطاغوت فائدة ، ذلك أن معنى الجبت يتعدى المكلفين إلى الجمادات والأمور المعنوية ، فهذا ابن الخطاب رضي الله عنه يعرف لنا الجبت والطاغوت فيقول : " الجبت السحر ، والطاغوت الشيطان ، " [51] والسحر معنى غير عاقل ، وقد ورد عن ابن عباس : "الجبت : الشرك ، وعنه الجبت الأصنام " ، أما الطاغوت فلم يخرج تأويله عند أهل التفسير عن كونه إما

---

[48]) ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي): تفسير القرآن العظيم ، دار طيبة، 1422هـ 2002م، (ج 1،ص 312).

[49])الطبري(محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبي جعفر)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار النشر: دار الفكر - بيروت – 1405هـ.(ج 3، ص 27)

[50]) دكتور وهبة الزحيلى،التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دمشق: دار الفكر، 1991م(ج 3 – 26)

[51])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج 4 - ص512)مرجع سابق.

الشيطان على العموم ، أو أحداً من الناس على الخصوص كما ورد عن ابن عباس " الطاغوت : كعب بن الأشرف[52] ، والجبت : حُيَيّ بن أخطب " [53] .

والمتتبع لمواضع ورود لفظة الطاغوت في القرآن الكريم يجدها تأتي في سياق العبادة والإيمان ، فهذه آية البقرة تعلن أن الإيمان بالله يستلزم التبرؤ من الطاغوت ومن عبادته ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة، الآية 256.] .

يقول الألوسي: " الطاغوت أي الشيطان، وهو المروي عن عمر بن الخطاب، والحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم –كذا قاله مجاهد وقتادة – وعن سعيد بن جبير وعكرمة أنه الكاهن، وعن أبي العالية أنه الساحر، وعن مالك بن أنس: كل ما عبد من دون الله تعالى، وعن بعضهم الأصنام، والأولى أن يقال بعموم سائر ما يطغى، ويجعل الاقتصار على بعض في تلك الأقوال من باب التمثيل" [54]، يقول ابن كثير رحمه الله: " ومعنى قوله في الطاغوت (إنه الشيطان) قوي جداً، فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية، مِن عبادة الأوثان، والتحاكم إليها، والاستنصار بها" [55]، ولا يقصد ابن كثير في قوله (عبادة الأوثان) الأصنام منها وإلا لما قال عاطفاً عليها (والتحاكم إليها) فالتحاكم لا يكون لجماد بل هو لشياطين الإنس وأسيادهم من الجن ، وقد ورد ذكر الطاغوت بأنه الأصنام في كثير من كتب التفسير دون عزو واضح أو قوي فهذا الألوسي يقول فيه "وعن بعضهم" دون تحديد مَنْ هذا البعض، وهذا ابن عطية يقول: " وقال قوم (الطاغوت): الأصنام" [56] فهو أيضاً يعزو هذا الرأي إلى قوم ونرى الفيروزابادي يجمع كل ما ورد في الطاغوت فيقول: " الطاغوت: اللات

1- هو : كعب بن الأشرف الطائي ، من بني نبهان : شاعر جاهلي كانت أمه من بني النضير فدَان باليهودية وكان سيداً في أخواله ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وهو من أكثر من هجوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وحرض القبائل عليهم بإيذائهم ، خرج إلى مكة بعد بدر ، فندب قتلى قريش فيها ، وحضّ على الأخذ بثأرهم ، وعاد إلى المدينة ، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فانطلق إليه خمسة من الأنصار فقتلوه في ظاهر حصنه وحملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة السنة الثالثة للهجرة – الأعلام للزركلي – ج 5 – ص 225 .

53 – هو حييّ بن أخطب النضري ، جاهلي من الأشداء العتاة ، أدرك الإسلام وآذى المسلمين فأسروه يوم قريظة ثم قتلوه سنة خمسة للهجرة – المرجع السابق - ج 2 ت- ص 292 ، جامع البيان – للطبري م 4 – ج 5 – ص 177

54)الألوسي، روح المعاني،(ج 3 – ص 21)مرجع سابق.

55)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج 2 – ص 447)مرجع سابق.

56)ابن عطية، المحرر الوجيز (ج 1،ص 344)مرجع سابق.

والعزى، والكاهن، والشيطان، وكل رأس ضلال، والأصنام، وكل ما عُبد من دون الله ، ومردة أهل الكتاب" [57]، أما حين يُذكر معنى الطاغوت بأنه الشيطان فتجد العزو قوياً وكثيراً وموثقاً، فهذا الطبري ينقل هذا الرأي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعن مجاهد والشعبي والضحاك وقتادة والسدّي[58]، ويتكرر هذا العزو المتين عند سائر المفسرين.

ومن خلال ما سبق يمكننا أن نخرج بالتعريف التالي للطاغوت في الشرع:

الطاغوت: هو كل ذي طغيان على الله فعُبِد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده، إنساً كان ذلك المعبود أو جانّاً.

وأخص مظاهر هذه العبودية أن ينصب شيطان الجن أو الإنس نفسه حاكماً من دون الله يشرّع للبشر قوانين الكفر والضلال، يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ [59].

---

[57])الفيروزابادي(مجد الدين محمد الفيروزآبادي،) بصائر ذوي التمييز مطبعة مصطفى البابي وأولاده، بمصر، الطبعة الثانية 1371هـ- 1952م. (ج 3 – ص 509)

[58])الطبري،جامع البيان،(ج 3 – ص 26)مرجع سابق.

[59] – سورة النساء، الآية 60.

obeikan.com

المبحث الثاني

كلمة إبليس ونظائرها في السياق القرآني

وفيه تمهيد وأربعة مطالب

تمهيد:

لابد من ربط كلمة إبليس بنظرائها ومرادفاتها في القرآن الكريم حتى نستطيع التفريق بينهم وحتى توثق الأدلة ويمكن الربط بينهم جميعا.

المطلب الأول

كلمة إبليس في السياق القرآني

لقد ذكرنا من قبل أن كلمة إبليس وردت في سياق آيات الكتاب العزيز على هيئة واحدة، وكان ورودها أحد عشر مرة باللفظ الصريح، ومرة واحدة بصفته (السفيه) كما أجمع على ذلك أهل التأويل [60].

وقد أخذت السور المكية النصيب الأعظم من هذه اللفظة فوردت إحدى عشرة مرة فيها، وبقيت لفظة واحدة لسورة مدنية واحدة.

أما عدد السور التي وردت فيها هذه اللفظة فعشر سور وهي: سورة الحجر، وص حيث احتوت كل منهما على لفظتين، ثم تلتها سورة البقرة، والأعراف، والإسراء، والكهف، وطه، والشعراء، وسبأ، والجن بمرة واحد لكل سورة.

المطلب الثاني

كلمة الشيطان في السياق القرآني

لقد وردت لفظة الشيطان وتصريفاتها المختلفة (شيطاناً، شياطين، شياطينهم)[61] (ثماني وثمانين مرة)، منها تسع وستون مرة معرفة ب(أل) أو بالوصف، ومرة واحدة بلفظة (شيطاناً) نكرة، وثماني عشرة مرة بلفظة (شياطين) معرفة ب(أل) أو بالإضافة .

---

[60] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر (ت: 310هـ)، تفسير الطبري "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، السعودية (2001م)(ج 29 – ص 107) وتفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 4 – ص 429.

[61] حسب محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، المكتبة الإسلامية، تركيا، (ص 485).

أما على صعيد المكي والمدني من السور ، فلقد وردت لفظة الشيطان واشتقاقتها ثلاثاً وخمسين مرة في ثنايا السور المكية ، وخمساً وثلاثين مرة في السور المدنية .

وقد وردت هذه اللفظة وتصريفاتها في ثنايا ست وثلاثين سورة من سور القرآن الكريم احتلت السور الواقعة في أول المصحف العثماني القدر الأكبر منها فأخذت البقرة ، والنساء ، والأعراف ثماني لفظات لكل سورة ، ثم تلتها في الترتيب الأنعام بست لفظات ، ثم الإسراء ، ومريم بخمس لفظات لكل سورة ، ثم الحج ، والمجادلة بأربع لفظات لكل سورة ، ثم آل عمران ، ويوسف بثلاث لفظات لكل سورة ، ثم المائدة ، والأنفال ، والنحل ، والنور ، والصافات ، وص والزخرف ، والشعراء بلفظتين لكل سورة ، ثم إبراهيم، والحجر، والكهف، وطه، والفرقان، والنمل، والقصص، والعنكبوت، ولقمان، وفاطر، ويس، وفصلت، ومحمد، والحشر، والتكوير، والأنبياء، والمؤمنون، والملك بلفظة واحدة لكل سورة.

ويمكنا أن نخلص من ذلك إلى أن القرآن أشار إلى إبليس في مرات وإلى لفظ الشيطان في أخرى وذلك دلالة استخدام لفظ (إبليس) في المواضع التي ذكر فيها القرآن قصة الأمر بالسجود لآدم.

وردت قصة آدم في القرآن الكريم في مواضع عديدة وفي كل موضع منها لما ذُكر الأمر الإلهي بالسجود لآدم ورفض إبليس الأمر جاء لفظ (إبليس) ولم يرد الشيطان وذلك لأن إبليس هو أبو الشياطين فناسب أن يذكره باسمه ليتناسب مع كون آدم أبو البشر قال تعالى:{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ{[البقرة:34]

وقال تعالى:{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ}[الأعراف:11]

وقال:{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿28﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿29﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿30﴾ إِلَّا إبليس أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿31﴾ قَالَ يَا إبليس مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿32﴾[الحجر:28إلى32]

وقال:{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا}[الإسراء:31]

وقال:{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا}[طه:50]

وقال:{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس أَبَىٰ}[طه:116]

وقال:{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿71﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿72﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿73﴾ إِلَّا إبليس اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿74﴾ قَالَ يَا إبليس مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿75﴾[ص:من71إلى75]

أما لما كان السياق يتحدث عن آدم وزوجه بعد مخالفة أمر الله تعالى وأكلهم من الشجرة ذكر القرآن لفظ الشيطان دون إبليس لأن الكلام هنا ليست في العداوة الأولية بين آدم أبو البشر وبين إبليس أبو الشياطين وإنما قد تحقق لإبليس ما أراده من إغواء آدم لمخالفة أمر الله، ومن تلك اللحظة صارت العداوة بين أبناء إبليس وجنوده من الشياطين وبين آدم وزوجه وذريته من بعده إلى أن تقوم الساعة ولذا يأتي التحذير للناس في القرآن من اتباع الشياطين وليس من اتباع إبليس تحديداً.

وقال تعالى:{فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ}[البقرة:36]

وقال:{فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} [الأعراف:20]

وقال:{فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ}]الأعراف:22]

وقال:{يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ}[الأعراف:27]

من خلال ما تقدم يتبين أن (إبليس) اسم علم للجني الذي كان مع الملائكة وأمر بالسجود وأبى أن يسجد. فلعنه الله إثر ذلك:{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً} [الكهف:50]

بينما (الشيطان) هو اسم جنس: {يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف:27] .

وخصوصا إذا علمنا أن لكل إنسان شيطانه، اعتبارا بما جاء في الأحاديث النبوية الشريفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" بسم الله وضعت جنبي اللهمَّ اغفر لي ذنبي وأخسئ شيطاني وفُك رهاني واجعلني في النديِّ الأعلى"([62])

2- ومر النبي صلى الله عليه وسلم مر بقوم يضطربون فقال:" ما هذا؟ فقالوا: يا رسول الله فلان الصريع ما يصارع أحدا إلا صرعه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أفلا أدلكم على من هو أشد منه رجل ظلمه رجل فكظم غيظه فغلبه وغلب شيطانه وغلب شيطان صاحبه "([63])

3 . وقال أيضا صلى الله عليه وسلم:"" فُضِّلْتُ على آدم بخصلتين: كان شيطاني كافرًا فأعانني الله عليه فأسلم، وكُنَّ أزواجي عونًا لي، وكان شيطان آدم كافرًا، وكانت زوجته عونًا له على خطيئته"([64]).

المطلب الثالث

كلمة الطاغوت في السياق القرآني

---

[62]) النووي، الأذكار، ص: 125. من حديث أبي الأزهر الأنماري، إسناده حسن

[63]) الهيثمي، مجمع الزوائد،(ج8/ص71)من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. فيه شعيب بن بيان وعمران القطان ووثقهما ابن حبان وضعفهما غيره وبقية رجاله رجال الصحيح .

[64]) الذهبي، ميزان الاعتدال،(ج4/ص60)من حديث: عبد الله بن عمر.

وردت لفظة (طاغوت) على صورة واحدة وهي: صيغة الإفراد في كتاب الله عز وجل ثماني مرات .[65]

وقد وردت هذه اللفظة في السور المكية مرتين فقط، أما الألفاظ الست الباقية فجاءت في السور المدنية.

أما السور التي وردت فيها هذه اللفظة فخمس، أخذت سورة النساء أكبر نصيب من هذه اللفظة فوردت فيها ثلاث مرات، ثم تلتها سورة البقرة بلفظتين، ثم المائدة، والنحل، والزمر بمرة واحدة.

الخلاصة:أن إبليس لما استكبر عن السجود، أبلس من رحمة الله تعالى فناسب أن يخبر عنه و يخاطب بهذا الاسم دون غيره.

و عند أخذه العهد بالإنظار توعد بالإغواء، متصفا بالأخلاق و الأفعال التي ابتعدت كل البعد وشطنت كل الشطون عن الخير و الصلاح، فناسب أن يخبر عنه بالشيطان، و – ظهر لي وجه آخر في تسميته بهذا الاسم– و هو أنه كذلك يأمر بكل خلق و فعل شطن عن صالح الأخلاق و الأفعال.

المطلب الرابع

لطائف مستنبطة مما سبق

يمكننا استنباط بعض المعاني، واللطائف من الإحصائيات السابقة حول ورود لفظة الشيطان ونظائرها في كتاب الله وذلك على النحو التالي:

1- وردت ألفاظ (شيطان ، إبليس ، طاغوت) بمجموعها مائة وثماني مرات موزعة بين آيات وسور هذا الكتاب المنير ، وهذا العدد يدل على أهمية هذه القضية للبشر ، ذلك أن هذا القرآن هو كتاب هداية وإرشاد، والشيطان هو عنصر ضلال وإضلال ، فوجب التحذير منه وبيان حقيقته.

2- ورود هذه الألفاظ في السور المكية (66 مرة) أكثر منه في السور المدنية (42 مرة) دليل على اتخاذ هذا الموضوع أهمية أكبر في العهد المكي للدعوة، حيث جاء القرآن على قوم جاهليين تمكن منهم الشيطان، واستحوذ

[65])محمد فؤاد بعد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم– ص 541.

عليهم، وليس أدل على ذلك من واقعهم القائم على الكفر ، بحيث لم يبق إلا عدة نفر على دين التوحيد في الجزيرة ، فكان لزاماً أن يبين لهم القرآن خطر هذا الشيطان ، ويوضح لهم خطواته وغاياته .

3- لم يُذكر إبليس في السور المدنية إلا مرة واحدة، وكان ذكره في القرآن المكي هو الأغلب ، وهذا باب عظيم من حسن الوعظ حيث يُذكِّر القرآن الناس بمنشأ الشياطين وقبح صفاتهم المتمثلة في إبليس عليه لعنة الله ، ويذكِّرهم بقبح صنيعه مع أبيهم آدم عليه السلام ، ويبين لهم العداوة القائمة أبداً بينهم وبينه ، ليكون ذلك حافزاً على التنفير من أتباعه، فكان ذكره بشكل مكثف في السور المكية يناسب حال الناس مع الشيطان في ذلك الزمان، أما لما تجلت حقيقة إبليس وموقفه من آدم عليه السلام وعُرِف ذلك للقاصي والداني، لم يكن هناك حاجة لذكره في العهد المدني إلا على سبيل الإعذار والتذكير فورد مرة واحدة في سورة البقرة .

4- في حين كانت ألفاظ (شيطان، إبليس) ترد بشكل أكبر في السور المكية، لاحظنا أن لفظة (طاغوت) وردت في السور المدنية ثلاثة أضعاف ورودها في السور المكية، فلماذا ؟

عرفنا أن الطاغوت هو مرتبة عليا في الكفر والطغيان يفوق الشيطان في الإجرام ، وهذا النوع من الشياطين لم يكن بارز الظهور في العهد المكي حيث سذاجة العقول وجهالة الأحلام ، أما في المدينة فقد ظهر اليهود بمكرهم وخبثهم وتجرئهم على الله ، مع من اتبعهم من المنافقين ، فظهر التجرؤ على خصائص الإلوهية من صرف العبادة ، والحكم فكانت الحرب على هؤلاء في المدينة أقوى وأعتى .

5- خلو سورة التوبة – على طولها – من هذه الألفاظ إشارة على ضعف وبطلان الشياطين، وعدم صمودهم أمام الحق، لاسيما ذلك الحق القوي بألفاظه، القوي بمعانيه، الشديد على الباطل، والذي تمثل في سورة التوبة، ففرت منها الشياطين خوفاً وفرقاً.

المبحث الثالث

الجنس الذي منه إبليس

اختلف العلماء في جنس إبليس هل هو من الملائكة أم من الجن؟ وذلك لورود الآيات القرآنية باستثنائه من الملائكة في مواضع من القرآن عند التعرض لسجود الملائكة لآدم عليه السلام قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إبليس أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 34].

وقوله تعالى:{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إبليس لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ}[الأعراف:11].

وقال تعالى: {فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلا إبليس اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ} [ص:73-74].

وغير ذلك من الآيات، وهي تدل على استثنائه من الملائكة.

وقد جاءت آية سورة الكهف مصرحة بأن إبليس من الجن، قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إبليس كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلا} [الكهف: 50].

وإزاء هذه الآيات فقد انقسم العلماء في هذه المسألة إلى فريقين:

الفريق الأول: ويرى أن إبليس من الملائكة، والاستثناء الوارد في الآيات إنما هو استثناء متصل.

قال القرطبي: (وهو قول جمهور العلماء كابن عباس، وابن مسعود، وابن جريج، وسعيد بن المسيب، وقتادة وغيرهم، وهو اختيار الشيخ أبي الحسن الأشعري، والشيخ موفق الدين بن قدامة، وأئمة المالكية، ورجحه الطبري)، وقال البغوي: (هذا قول أكثر المفسرين ([66]) وهو ظاهر قوله تعالى:{فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلا إبليس اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ}[ص: 74].

---

[66]) البغوي(أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي)(المتوفى : 510هـ)المحقق: عبد الرزاق المهدي،معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت،الطبعة:الأولى، 1420 هـ(ج81/1)

الفريق الثاني: ويرى أن إبليس لم يكن من الملائكة وإنما هو من الجن، والاستثناء في الآيات إنما هو استثناء منقطع.

والقائلون بهذا: ابن عباس في رواية، والحسن البصري، واختاره الزمخشري، وأبو البقاء العكبري، والكواشي في تفسيره، وذكره الفخر الرازي عن بعض المتكلمين كالمعتزلة، وغيرهم من العلماء، ورجحه الشيخ الشنقيطي وغيره.

روي عن ابن عباس وابن مسعود أن إبليس كان له ملك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وإنما سمّوا الجنّ لأنهم خزان الجنة وكان إبليس مع ملكه خازنًا قال ابن عبّاس: ثم إنه عصى الله تعالى فمسخه شيطانًا رجيمًا.

وروي عن قتادة في قوله تعالى: {ومن يقل منهم إني إله من دونه} [الأنبياء: 29]. إنما كانت هذه الآية في إبليس خاصة لما قال ما قال لعنه الله تعالى وجعله شيطانًا رجيمًا وقال: {فذلك نجزيه جهنَّم كذلك نجزي الظالمين} [الأنبياء: 29].وروي عن ابن جريح مثله.

وروي الضحّاك عن ابن عبّاس قال: كان إبليس من حيّ من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان خازنًا من خزّان الجنة قال: وخُلقت الملائكة من نور وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهبت وخلق الإنسان من طين فأوّل من سكن في الأرض الجن فاقتتلوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضًا قال: فبعث الله تعالى إليهم إبليس في جند من الملائكة وهم هذا الحيّ الذين يقال لهم الجن فقاتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال فلمّا فعل ذلك اغترّ في نفسه وقال: قد صنعتُ ما لم يصنعه أحد فاطّلع الله تعالى على ذلك من قلبه ولم يطلع عليه أحد من الملائكة الذين معه.

وروي عن أنس نحوه.

وروى أبو صالح عن ابن عبّاس ومُرّة الهمداني عن ابن مسعود أنهما قالا: لما فرغ الله تعالى من خلق ما أحبّ استوى على العرش فجعل إبليس على ملك سماء الدنيا وكان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن وإنما سمّوا الجن لأنهم من خزنة الجنّة وكان إبليس مع ملكه خازنًا فوقع في نفسه كبر وقال: ما أعطاني الله تعالى هذا الأمر إلاّ لمزية لي على الملائكة فاطلع الله على

ذلك منه فقال: إني جاعل في الأرض خليفة قال ابن عباس: وكان اسمه عزازيل وكان من أشدّ الملائكة اجتهادًا وأكثرهم علمًا فدعاه ذلك إلى الكبر وهذا قولٌ ثالث في سبب كبره.

وروى عكرمة عن ابن عباس أن الله تعالى خلق خلقًا فقال: اسجدوا لآدم فقالوا: لا نفعل فبعث عليهم نارًا فأحرقتهم ثمّ خلق خلقًا آخر فقال: إني خالق بشرًا من طين فاسجدوا لآدم فأبوا فبعث الله تعالى عليهم نارًا فأحرقتهم ثمّ خلق هؤلاء الملائكة فقال: اسجدوا لآدم قالوا: نعم وكان إبليس من أولئك الذين لم يسجدوا.

وقال شهر بن حوشب: إن إبليس كان من الجن الذين سكنوا الأرض وطردهم الملائكة وأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء وروي عن سعيد بن مسعود نحو ذلك.

وأولى الأقوال بالصواب أن يقال كما قال الله تعالى: {وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه} [الكهف: 50]. وجائز أن يكون فسوقه من إعجابه بنفسه لكثرة عبادته واجتهاده وجائز أن يكون لكونه من الجن.

أدلة الفريقين:

وقد انتصر كل من الفريقين لقوله بعدة أدلة، وإليك تفصيل أدلة كل فريق:

أ- أدلة الفريق الأول:

اعتمد هذا الفريق فيما ذهب إليه على أن الاستثناء في قوله تعالى: {فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلا إبليس اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ} **[ص: 74]**. إنما هو استثناء متصل، وقد تكرر هذا الاستثناء في القرآن الكريم، فإخراج إبليس بالاستثناء من لفظ الملائكة دليل على أنه منهم، وذكر بعضهم أن الظاهر إذا كثرت صارت بمنزلة النص، ومن المعلوم أن الأصل في الاستثناء الاتصال لا الانقطاع ([67]) قال الطبري: (ثم استثنى من جميع الملائكة إبليس، فدل باستثنائه إياه منهم على أنه منهم، وأنه ممن قد أمر بالسجود معهم، ثم استثناه جل ثناؤه مما أخبر عن الملائكة أنهم فعلوه من السجود لآدم، فأخرجه من الصفة التي وصفهم بها من الطاعة لأمره، ونفي عنه ما أثبته لملائكته من السجود لعبده آدم) ([68]) .

---

[67]) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر (ت: 1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت (1995)(ج120/4)

[68])تفسير الطبري(ج224/1)مرجع سابق.

وأما بالنسبة لقوله تعالى في سورة الكهف:{إِلا إبليس كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} [الكهف:50]. فقد أجاب الجمهور عنه بما يلي:

1. أن إبليس كان من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن، خلقوا من نار السموم، وخلقت الملائكة من نور، غير هذا الحي، وكان من خزان الجنة، وكان رئيس ملائكة السماء الدنيا، وكان له سلطانها وسلطان الأرض، وكان اسمه قبل أن يركب المعصية عزازيل، وكان من أشد الملائكة اجتهاداً وعلماً، وكان يسوس ما بين السماء والأرض، فرأى لنفسه بذلك شرفاً عظيماً، فذلك الذي دعاه إلى الكفر فعصى، فمسخه الله شيطاناً رجيماً.

وبهذا قال ابن عباس وجماعة من الصحابة ([69]) .

2. أنه لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود، ولو لم يتوجه إليه الأمر بالسجود لم يكن عاصياً، ولما استحق الخزي والنكال، كما ورد ذلك في القرآن، قال: {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ} [الأعراف: 12]. فقد دلت الآية على أنه أمر بالسجود، والأمر بالسجود لم يتوجه إلا إلى الملائكة، فدل هذا على أنه واحد منهم، وكان قتادة يقول: جن عن طاعة ربه ([70]) .

3. أن الملائكة يطلق عليهم اسم الجن، كما في قوله تعالى: {وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ} [الصافات: 158]. حيث إن المراد بالجنة في الآية الملائكة، حيث زعمت قريش أن الملائكة بنات الله، وقد جعلوا بين الله وإبليس نسباً – تعالى الله عما يقولون – وإطلاق لفظ الجن على الملائكة هو ما دلت عليه لغة العرب، حيث يقول أعشى بن قيس يذكر ما أعطاه الله للنبي سليمان بن داود عليهما السلام:

وسخر من جن الملائك تسعة.....قياماً لديه يعملون بلا أجر

فقد أطلق على الملائكة اسم الجن، وقال الطبري: (فأبت العرب في لغتها إلا أن الجن كل ما اجتن، وما سمى الله الجن إلا لأنهم اجتنوا فلم يروا، وما سمى بنو آدم الإنس إلا أنهم ظهروا فلم يجتنوا، فما ظهر فهو إنس، وما اجتن فلم ير فهو جن) ([71]) .

---

[69])تفسير القرطبي(ج294/1)مرجع سابق.

[70])تفسير الطبري(ج225/1)وأضواء البيان(ج120/4)

[71]) أضواء البيان في تفسير القرآن(ج120/4) تفسير الطبري(ج224/1)

4. وذكر الشيخ محمد عبده في تفسير المنار بأنه ليس هناك ثمة دليل يفرق بين الملائكة والجن تفريقاً جوهرياً، وإنما هو اختلاف أصناف عندما تختلف أوصاف كما ترشد إليه الآيات، فالظاهر أن الجن صنف من الملائكة ([72]).

ب- أدلة الفريق الثاني:

وقد استدل القائلون بأن إبليس من الجن وليس من الملائكة بأدلة هي:

1) أن قوله تعالى في سورة الكهف:{إِلا إبليس كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ}[الكهف:50]. صريح في أن إبليس من الجن وليس من الملائكة، والجن غير الملائكة، وغير جائز أن ينسب إلى غير ما نسبه الله إليه، وذكر الطبري عن قتادة قال: (كان الحسن يقول في قوله: إِلا إبليس كَانَ مِنَ الْجِنِّ إلجاء إلى نسبه، وما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس) ([73]) . وممن قال بأن إبليس أبو الجن أيضاً ابن زيد وقتادة كما ذكر ذلك القرطبي ([74]) .

2) أن إبليس لو كان من الملائكة لما عصى الله عندما توجه إليه بالأمر بالسجود لآدم، لقوله تعالى عن الملائكة: {لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: 6]. قال الزمخشري في قوله:{إِلا إبليس كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّه}: كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء إبليس من الساجدين، كأن قائلاً قال: ما له لم يسجد؟ فقيل: كان من الجن، فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ والفاء للتسبيب، أيضاً جعل كونه من الجن سبباً في فسقه، لأنه لو كان ملكاً كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر ربه، لأن الملائكة معصومون البتة، لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس ([75]) .

وقال الشيخ الشنقيطي في قوله تعالى: كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ (ظاهر في أن سبب فسقه عن أمر ربه كونه من الجن، وقد تقرر في الأصول في مسلك النص و في مسلك الإيماء والتنبيه أن الفاء من الحروف الدالة على التعليل كقولهم: سرق فقطعت يده، أي لأجل سرقته، وسها فسجد، أي لأجل سهوه، ومن هذا القبيل قوله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ

---

[72])تفسير المنار(ج1/265)

[73]) تفسير الطبري(ج1/226)مرجع سابق.

[74])تفسير القرطبي(ج1/294)مرجع سابق.

[75])الزمخشري،تفسير الكشاف(ج1/497)

فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [المائدة: 38]. أي لعلة سرقتهما، وكذلك قوله هنا: كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ أي لعلة كينونته من الجن لأن هذا الوصف فرق بينه وبين الملائكة، لأنهم امتثلوا الأمر وعصا هو) ([76]) .

3) أن الله أخبر أنه خلق إبليس من النار، ولم يخبر أنه خلق الملائكة من شيء من ذلك، بل ورد في الحديث المروي عن عائشة قوله عليه الصلاة والسلام: ((خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)) ([77]) . و في هذا دليل على أن الملائكة مخلوقة من نور لا من نار.

وقد ورد التصريح في القرآن على لسان إبليس بأن الذي دعاه إلى عدم السجود لآدم هو أنه مخلوق من النار وآدم مخلوق من الطين، قال تعالى: {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ} [الأعراف: 12]. فالذي دعا إبليس لعدم السجود هو ظنه الفاسد أن النار أشرف من الطين ([78]) ، وأن المخلوق منها أشرف من المخلوق من الطين.

4) أن الله أخبر أن إبليس له نسل وذرية قال تعالى: {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ} [الكهف: 50]. فإبليس وذريته يتوالدون كما يتوالد بنو آدم، كما قال الحسن ([79]) ويأكلون، ويشربون، والملائكة لا يتوالدون، ولا يأكلون، ولا يشربون، فدل هذا على أن إبليس من الجن وليس من الملائكة.

وقد أجاب القائلون بأن إبليس من الجن عن قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إبليس أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 34]. ونحوها من الآيات بما يلي:

أولاً: أن الاستثناء في هذه الآيات إنما هو استثناء منقطع، قال ابن حجر الهيتمي: (ومن الواضح أن دلالة كان من الجن لأن كونه منهم أظهر من دلالة الاستثناء على كونه من

---

[76]) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر (ت: 1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت (1995)(ج119/4)

[77])رواه مسلم برقم2996.

[78])الألوسي،روح المعاني(ج120/1)

[79])الطبري،تفسير الطبري،(ج526/1)

الملائكة، لأنه يأتي منقطعاً كثيراً، قال تعالى: {مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ} [النساء: 157]) ([80]) .

وقوله تعالى:{فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلا رَبَّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: 77].

فرب العالمين ليس من الأول، وكقولنا: جاء بنو فلان إلا أحمد، وليس منهم إنما هو عشيرهم.

ثانياً:... قال ابن كثير: (إن الله لما أمر الملائكة بالسجود لآدم دخل إبليس في خطابهم، لأنه وإن لم يكن من عنصرهم، إلا أنه كان قد تشبه بهم وتوسم بأفعالهم، فلهذا دخل في الخطاب لهم، وذم في مخالفته الأمر) ([81]) .

وقال الزمخشري: (إنما تناوله الأمر وهو للملائكة خاصة لأن إبليس كان في صحبتهم، وكان يعبد الله تعالى عبادتهم، فلما أمروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له، كان الجِنِّي الذي معهم أجدر بأن يتواضع) ([82]) .

ثالثاً: وذكر بعضهم أنه يمكن أن يقال: إن الجن من جنس الملائكة من حيث لطافة الجسم، وعدم رؤية البشر له، فيكون الاستثناء متصلاً مع كون إبليس من عنصر الجن حقيقة، لدلالة قوله تعالى: خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ [الأعراف: 12].

رابعاً: وذكر بعضهم أن الجن كانوا مأمورين بالسجود مع الملائكة، ولكنه استغنى بذكر الملائكة لمزيد شرفهم عن ذكر الجن ([83]).

القول الراجح:

وبعد هذا العرض لأدلة الفريقين وأجوبة كل فريق على أدلة الفريق الآخر يتبين لنا رجحان القول الثاني، بأن إبليس من الجن وليس من الملائكة، وذلك للأسباب التالية:

1. صراحة ما اعتمدوا عليه من آية سورة الكهف في أن إبليس كان من الجن في قوله تعالى: إِلا إبليس كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، قال الشيخ الشنقيطي: (وأظهر الحجج

---

[80])الفتاوى الحديثة، ص:191.

[81])مختصر تفسير ابن كثير(ج1/53)مرجع سابق.

[82])الزمخشري، الكشاف (ج3/ص91) مرجع سابق.

[83])الألوسي، روح المعاني(ج1/120)مرجع سابق.

في المسألة حجة من قال إنه غير ملك لقوله تعالى: إِلا إبليس كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ الآية، وهو أظهر شيء في الموضوع من نصوص الوحي،والعلم عند الله تعالى) ([84]) .

2. أن ما ورد في الكتاب والسنة من وصف إبليس بالعصيان، وأن له ذرية، وأنه مخلوق من النار، وأنه يأكل ويشرب، يدل دلالة ظاهرة على أنه من الجن، لأن هذه الصفات من صفات الجن دون الملائكة.

3. أن الاستثناء المنقطع يأتي في القرآن و في كلام العرب كثيراً كما تقدم من الأمثلة.

4. استقامة توجيههم استثناء إبليس من الملائكة من جهة المعنى في قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إبليس أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 34]. وغير ذلك من الآيات التي اعتمد عليها الجمهور في قولهم بأن إبليس من الملائكة وليس من الجن، وذلك لأن الآيات التي استثنته من الملائكة توحي بأنه كان يتعبد الله معهم لاختلاف صفاته عن صفاتهم، فبمقتضى الأمر أن يتوجه إليه الخطاب بالسجود مع الملائكة، لأنه أصبح واحداً يعيش معهم، ولكنه لم يخرج عن أصله بأنه من الجن.

5. وأما صرف الجمهور لقوله تعالى: إِلا إبليس كَانَ مِنَ الْجِنِّ عن ظاهره بأنه كان من حي من أحياء الملائكة خلقوا من نار السموم، فلم يثبت لنا أن من الملائكة من خلق من النار، بل ورد ما يناقض ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها من أن الملائكة خلقت من نور، وخلق الجان من مارج من نار.

وما ذكره البيضاوي في تفسيره من أن المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك – غير أن ضوءها مكدر مغمور بالدخان، محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والإحراق، فإذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور، ومتى نكصت عادت الحالة الأولى جذعة، ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف – غير مسلم به، إذ الفرق بين النار والنور أشمل من ذلك، فليس شرطاً أن يكون كل جسم مضيء محرقاً كما أسلفنا.

وما زعمه الشيخ محمد عبده من أنه ليس هناك ثمة دليل يفرق بين الملائكة والجن تفريقاً جوهرياً، وإنما هو اختلاف أصناف عندما تختلف أوصاف، فترده الأدلة من القرآن والسنة،

[84]) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت (1995)(ج121/1)مرجع سابق.

فالفرق بينهما واضح في أصل المادة التي خلق كل واحد منهما منها، و في صفات كل منهما كذلك كما تقدم.

وعدم ورود آية في القرآن تدل على المادة التي خلقت منها الملائكة لا يعتبر مسوغاً لاعتبار إبليس واحداً من الملائكة، اعتماداً على الآيات التي تستثني إبليس منهم.

6. وأما ما أجاب به القائلون بأن إبليس من الملائكة على قوله تعالى: إِلا إبليس كَانَ مِنَ الْجِنِّ بما ورد من روايات عن بعض السلف كابن عباس وغيره – بما تقدم – فيجيب على ذلك الشيخ الشنقيطي حيث يقول:

(وما يذكره المفسرون عن جماعة من السلف كابن عباس وغيره – من أنه (أي إبليس) كان من أشراف الملائكة، ومن خزان الجنة، وأنه كان يدبر أمر السماء الدنيا، وأن اسمه عزازيل – كله من الإسرائيليات التي لا معول عليها) ([85]) .

وذكر ابن كثير رواية عن ابن جرير الطبري بإسناده عن ابن عباس أن إبليس كان من حي من أحياء الملائكة خلقوا من نار السموم يسمون جِنًّا في أثر طويل، قال ابن كثير تعليقاً عليها: (وهذا سياق غريب، وفيه أشياء فيها نظر يطول مناقشتها) ([86]) .

وذكر الفخر الرازي أن تعليل الجمهور لقوله تعالى: كَانَ مِنَ الْجِنِّ بأنه – أي إبليس – كان خازناً للجنة تعليل غير جائز، لأن قوله: كَانَ مِنَ الْجِنِّ يشعر بتعليل تركه للسجود لكونه جنياً، ولا يمكن تعليل ترك السجود بكونه خازناً للجنة ([87]) .

ومن ذكر أن معنى قوله: كَانَ مِنَ الْجِنِّ يحتمل أن يكون بمعنى صار، فقد قال الفخر الرازي أيضاً: (هذا خلاف الظاهر، ولا يصار إليه إلا عند الضرورة) ([88]) وذكر ابن فورك أن هذا مما ترده الأصول ([89])

---

[85]) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (ج4/121)مرجع سابق.

[86])ابن كثير،تفسير القرآن العظيم،(ج1/76)مرجع سابق

[87]) الرازي(أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، (ت 606 هـ)، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار الفكر – الطبعة الأولى والثانية 1405 هـ. (ج28/313)(ج2/214).

[88])المرجع السابق.

[89])الألوسي،روح المعاني(ج1/212)مرجع سابق.